نبذه عن تأريخ المغول في العراق

المرحلة الثالثة

تأريخ العراق الحديث

م.د.ساهرة حسين محمود

أصبحت بلاد الرافدين بعد سقوط بغداد على يد المغول في العام ١٢٥٨ جزءاً من مملكة أحفاد الغازي هولاكو خان والذين إستمر حكمهم من عام١٢٥٦ إلى عام ١٣٣٥. لقد دخل المغول الإسلام في العام ١٢٩٥ وشهد الإقليم على أيديهم إزدهاراً ثقافيا جديداً. بعد سقوط إمبراطورية المغول في العام ١٣٣٥ تمكن أتباعهم السابقون من أن يعودوا إلى السلطة في الجزء الفارسي من بلاد الرافدين. أما العراق والجزء الغربي من إيران المعاصرة فقد بقيا تحت حكم فرع عائلة المغوليين . الجلايريدن إبتداءً من عام١٣٣٦ وحتى عام ١٤١١. أصبحت بغداد تحت حكم هذا الفرع من العائلة المغولية مرة أخرى مركزاً للفن والثقافة والعلم.

كان السلطان أحمد(١٣٨٢ . ١٤١٠) أحد الحكام القلائل الذين كانت لديهم الجرأة ليقرروا الوقوف ضد جيوش الفاتح العالمي تيمور لينك(١٣٢٨ . ١٤٠٥) الذي إنطلق من سمرقند بداية من العام ١٣٧٠ ليؤسس إمبراطوريته الواسعة. كان تيمور لينك يعتبر السلطان أحمد عدوّا شخصيا له, وكان ذلك يعني أن كارثة قريبة ستحل ببغداد. في العام ١٣٩٣ تمكن تيمور لينك من إحتلال بغداد وأطاح بسلطان السلطان أحمد الذي لاذ بالفرار, ولكن إحتلال تيمور لينك هذا لم يجلب معه دمارا كبيرا لبغداد. وبعد جلاء تيمور لينك وجنوده عن بغداد, قام سكان بغداد بقتل جباة الضرائب الذين خلّفهم تيمور لينك وأعادوا السلطان أحمد للحكم. في شهر تموز من العام ١٤٠١ عاد تيمور لينك ليحتل بغداد مرة أخرى وكان إنتقامه من سكانها هذه المرة فظيعاً, فقد أباح المدينة لجنوده سلبا وحرقا, وتم قتل أغلب سكان المدينة, فيما عدا الفنانين والعلماء الذين أبعدهم تيمور لينك إلى سمرقند. وأقام جنود تيمور لينك أمام أبواب بغداد أهرامات من جماجم الضحايا من القتلى.

في العام ١٤١١ أطاحت القبائل التركمانية المتحالفة "قره قوينولو" ١٤١١ .١٤٦٩ (الخروف الأسود) بالمغول الجلايريدن لتصبح بغداد عاصمة دولتهم والتي ضمت إيران أيضا. ولكن قبائل الخروف الأسود تقهقرت أمام زحف منافستها قبائل الخروف الأبيض" آق قوينولو" ١٤٦٧/١٤٦٩ . ١٥٠٢.

ضمّ الشاه إسماعيل الصفوي ,الذي أسس الدولة الصفوية الشيعية في إيران في العام ١٥٠٢ ,العراق وبضمنه بغداد في العام ١٥٠٨ إلى مملكته. ومرة أخرى أصبح وادي الرافدين ساحة للعب بين قوتين كبيرتين, لأن العثمانيين الذين توسعوا في القرن السادس عشر بشراسة إلى الجنوب كانوا يطمعون هم أيضا بهذا الإقليم ذو الإرث الثقافي العتيد. في العام ١٥٣٤ قام العثمانيون بغزو بغداد, وبحلول العام ١٥٥٥ أصبح كل وادي الرافدين واقعا تحت سيطرتهم. ولكن الشاه الصفوي عباس الكبير (١٥٨٧ . ١٦٢٩) إعتبر العراق جزءا من مملكته وتمكن من إعادة إحتلال بغداد في العام ١٦٢٣. ولكن بعد موته تمكن العثمانيون من إعادة الكرّة وإحتلوا العراق في العام ١٦٣١ وإحتلوا بغداد في العام ١٦٣٩ ليبقى العثمانيون بعدها سادة العراق.

المماليك والعثمانيون

إن تدهور الدولة العثمانية في القرن السابع عشر أدى إلى ضعف سيطرة العثمانيين على الولايات العربية مما أجبر الدولة العثمانية على الإعتراف للولايات العربية بحق نوع من الحكم الذاتي وأصبحت السيطرة العثمانية على تلك الولايات العربية سيطرة شكلية فقط. في العام ١٧٠٤ تأسست في بغداد وباقي أنحاء العراق باشوية تركية. سُمِيّت تلك العائلة ب مماليك العراق لأنهم يعودون بإصولهم الى عبيد الحروب الذين جلبهم العثمانيون خلال فتوحاتهم. كان المماليك أشخاصا أكفاء وذوي عزيمة قوية وتمكنوا من إعادة إحلال النظام وإحكام السيطرة في العراق. كانت فترة حكم سليمان الكبير التي إمتدت من العام ١٧٧٥ وحتى العام ١٨٠٢ هي فترة الإزدهار والذروة لحكم المماليك إذ تمكن سليمان الكبير من جلب السلم والإزدهار للبلد وقام بإنشاء المدارس الدينية والكرفانات العائمة وإحلال النظام في المدن وإنشاء الجسور وإقامة التجارة المتنقلة. ولكن قبل نهاية حكمه بفترة قليلة كان عليه أن يشهد بعينيه معاناة الجنوب العراقي بفعل الغزوات الوهابية, وكان حينها شيخا في الثمانينات من عمره. قام الوهابيون بغزواتهم التي تحركها المشاعر الدينية المتطرفة بغزو المدن المقدسة لدى الشيعة وبنهب كربلاء وتدمير المراقد الدينية المقدسة فيها بحجة كونها بدع لا تتفق مع الدين الصحيح.

تحت حكم الوالي المملوكي الأخير داوود باشا ١٨١٧. ١٨٣١ والذي كان رجل دين تقيا, أدى تفشي مرض الطاعون وفيضان نهر دجلة المدمر إلى إندلاع الإضطرابات في أنحاء البلاد المختلفة. إستغل السلطان العثماني الإصلاحي محمود الثاني ١٨٠٨. ١٨٣٩, الذي كان قد قضى لتوه على سلطة الإنكشاريين وأعاد السلطة الفعلية للسلطان, هذه الأوضاع لإعادة السيطرة العثمانية المباشرة على العراق. وهكذا قام السلطان محمود الثاني بإعادة إحتلال العراق في العام ١٨٣١ والذي أصبح يُدار مباشرة من قبل الدولة العثمانية. تحسنت أحوال نظام الري والزراعة في العراق نتيجة للتحديث والإصلاح بعد إعادة السيطرة العثمانية المباشرة, إلا أن الشعب بدأ بالمعاناة تحت ضغط الضرائب الباهظة التي فرضها العثمانيون من أجل تأمين نفقات الميزانية العامة. تحت حكم الولاية القصيرة ل مدحت باشا ١٨٧٢.١٨٦٩ تم إنشاء مؤسستي بريد وتلغراف رسميتين مع البسفور و أوروبا, وتم إنشاء مدارس عمومية وبدأ العمل في مدّ سكة حديد بين بغداد و مدينة والكاظمية, والتي أصبحت فيما بعد أساسا لسكة بغداد الرئيسية.

نهاية الحكم العثماني وبداية الوصاية البريطانية

أثار العراق بسبب ثروات أراضيه و قدرته على إنتاج الحبوب, وفيما بعد بسبب الإكتشافات النفطية فيه, إهتمام الاستعمار البريطاني فبعد بداية الحرب العالمية الأولى بقليل زحفت القوات البريطانية وقامت باحتلال البصرة وشط العرب, إلا أن الزحف البريطاني ضد الأتراك في داخل البلد لم يتم إلا ببطء. وهكذا لم يتمكن البريطانيون من إحتلال بغداد إلا في العام ١٩١٧ أما كركوك والموصل فلم يتمكن البريطانيون من إحتلالهما إلا في العام ١٩١٨.

أسس البريطانيون إدارة مدنية من قبل الأهالي مباشرة في المناطق التي قاموا بإحتلالها. وكان البريطانيون قد وعدوا المناطق العربية التي كانت خاضعة للحكم العثماني بالاستقلال السياسي بعد أن تضع الحرب أوزارها ,من أجل تأليبهم ضد الأتراك, إلا أن البريطانيين كانوا تفاهموا مع الفرنسيين من خلال إتفاقية سايكس . بيكو في العام ١٩١٦على تقسيم كل المناطق العربية القريبة كمناطق نفوذ أو إنتداب فيما بينهما بعد إنتهاء الحرب.

وعند إنتهاء الحرب أصبحت سوريا ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي وأصبح العراق والأردن وفلسطين تحت الوصاية البريطانية. بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وضعت القبائل العربية خلال المؤتمر القومي العربي كل ثقلها وراء الأمير فيصل(١٨٨٣ .١٩٣٣), إبن شريف مكة الحسين. طالب المؤتمر القومي العربي في آذار من العام ١٩٢٠ بتسمية الأمير فيصل ملكا على إتحاد من المناطق العربية يشمل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق, وكان من المفروض أن تكون دمشق عاصمة لتلك الدولة العربية الجديدة. ولكن الفرنسيين قاموا بطرد الأمير فيصل في تموز من العام ١٩٢٠ بالقوة من دمشق, أي المنطقة الخاضعة لنفوذهم حسب اتفاقية سايكس . بيكو. أما البريطانيون الذين واجهتهم إنتفاضة شعبية في العراق, فكان عليهم إيجاد إتفاق معه يمكنه من حكم العراق المضطرب.